مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 26 عدد: 5 (رت 67) السنة: 2022

البُنْيَة الاجتماعية لقصر ورقلة "العتيق" بعد قيام الدولة الوطنية الجزائرية
– مقاربة أنثروبولوجية–

The social structure of the Old Ouargla Palace After the establishment of Algéria national state - Anthropological approach -

إسماعيل نعامي[1]
جامعة وهران 2 محمد بن أحمد ،الجزائر
naami.ismail@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2021/03/15 القبول 2022/01/25 النشر على الخط 2022/06/05
Received 15/03/2021 Accepted 25/01/2022 Published online 05/06/2022

ملخص:

يُعتبر قصر ورقلة من بين القصور الصحراوية ذات البنية الاجتماعية، التي شهدت على مرّ العصور تحوّلاتٍ طالتْ النسق القرابي والبيئي وكذا الأنماط الثقافية والسياسية والاقتصادية والدّينية، ولعلى من ضمن العوامل التي ساعدت في تغيرات وتحولات البنية الاجتماعية للقصر، اكتشاف النفط والهجرات والقوافل التجارية هذا كله في بيئة صحراوية قاسية ، ولقد تعاظمت هذه التحولات وتسارعت وتيرتُها منذ الاستقلال وإلى يومنا، حيث أصبح القصر مجرّد حيّ ضمن بلدية تضمها مدينة ورقلة عاصمة الولاية التي تحمل نفس الاسم، بمعنى أنه حدث انفجار ديمغرافي كبير يعود إلى أسباب اقتصادية ومُناخية أي بيئية، كان له تأثيره الكبير على القصر. ونحاول في هذا المقال عبر دراسة ميدانية، استجلاء مظاهر ذلك التأثير وتلك التحولات، على مدى خمسة عقود ونصف، أي منذ قيام الدولة الوطنية.

الكلمات المفتاحية: البنية الاجتماعية ؛ الشخصية الاجتماعية ؛ قصر ورقلة ؛ الأنساق ؛ الأنماط.

Abstract:

The Ouargla Palace is one of the desert regions with a social structure; which throughout the ages has witnessed transformations of the kinship and environmental patterns as well as cultural, political, economic and religious patterns. Among the factors that helped the latter changes are the transformations of the social structure of the place, the discovery of oil, migrations and the commercial one that convoyed all in a harsh desert environment. These transformations have increased and accelerated their frequencies; since independence to the present day, as the place became a mere neighborhood within a municipality of The City of Ouargla, the capital of the state of the same name; meaning that there was a major demographic explosion due to the economic and environmental reasons which had a significant impact on the entire area. In this article, we are trying; through a field study, to clarify the manifestations of that influence and those transformations over more than five decades from the establishment of the national state.

Keywords: Structure, Social Personality, Ouargla's palace, Patterns, Styles.

[1] المؤلّف المراسل: **إسماعـيل نـعامي** البريد الإلكتروني : **Naami.Ismail@Yahoo.Fr**

1. مقدمة:

كان لانتزاع الاستقلال والتحول إلى شعب سيّد يحكم نفسه بنفسه، بالغ الأثر على المجتمع الجزائري عموما، ومجتمع القصور خاصة، وبالأخص قصر ورقلة، أضف إلى ذلك قرنا و8 سنوات، رزحَ فيها قصر ورقلة تحت نير الاستعمار، كان لها هي الأخرى تأثيراتها على البنية الاجتماعية لهذا القصر، إضافة إلى الجفاف الذي ضرب المنطقة، وبين هذا وذاك، اكتشاف النفط. وقبل ذلك كله، القوافل التجارية والهجرات، هذا في بيئة صحراوية قاسية تكيّف معها ساكنو القصر وما يزالون.

وإن كانت الدراسات التي تناولت قصر ورقلة كثيرة، إلا أنها أغفلت البحث في البنية الاجتماعية للقصر، وخاصة في عصرنا الحاضر، اللهمّ إلا دراسات انتقائية محدودة المجال، تركز على عيّنة محددة ومحدودة، بل تكاد تركّز على الجانب العمراني، إن لم تهتم بالتاريخ للقصر.

ولعل العوامل التي أشرنا إليها آنفا من: قوافل وهجرات واستعمار ثم استقلال وجفاف وبيئة واكتشاف للنفط، تشير إلى تغيّرات معيّنة شهدتها البنية الاجتماعية لقصر ورقلة؛ مما يحدونا إلى محاولة دراسة هذه التغيّرات من خلال تتبّع تأثيراتها على بنية القصر الاجتماعية على صعيد الأنساق والأنماط المعهودة في المجال الأنثروبولوجي، مع محاولة الاسترشاد بدراسة ميدانية في هذا الإطار.

كل ذلك من خلال تساؤلات من قَبِيل: كيف تتشكّل البُنية الاجتماعية لقصر ورقلة؟ هل تأثرت هذه البُنية تحت وطأة المعطيات السياسية المستجدة بعد الإستقلال؟ وما هي التغيرات التي شهدها قصر ورقلة على صعيد الشخصية الاجتماعية بمنحاها القرابي وجانبها البيئي، وكذا في مجال الثقافة والاقتصاد والنمط الدّيني؟

2. مفاهيم واصطلاحات:

1.2 . مفهوم البنية الاجتماعية :

البنية أو البناء الاجتماعي هي موضوع الأنثروبولوجيا الاجتماعية الرئيسي، بما هي- أي البنية- أنساق اجتماعية Systemes Sociaux، ونظم اجتماعية Institutions Sociales، يتألف منها البناء الاجتماعي، ووظائف اجتماعية Fonctions Sociales تؤديها تلك الأنساق والنظم؛ في الحفاظ على استمرار وتماسك البناء الاجتماعي الكلي[1]

لذا فإن تعريف البنية الاجتماعية يتماهى مع تعريف علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، فهي موضوعه، من حيث أنه يدرس تلك النظم، يقول إيفانز بريتشارد Evans Pritchard معرّفا الأنثروبولوجيا الاجتماعية، بأنها:" العلم الذي يدرس السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة، شكل نظم اجتماعية مقررة كالنظام العائلي أو القرابي، والنظام السياسي والنظام الديني والنظام الاقتصادي وغيره، كما يدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو المجتمعات التاريخية التي يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة"[2].

2.2 الأنساق والنظم : تهتم الأنثروبولوجيا الاجتماعية Anthropologie Sociale بدراسة النظم التي يتخذها السلوك الاجتماعي أشكالا، مثل: العائلة وروابط القرابة، والنظام السياسي، والعلاقات الاقتصادية، والعبادات الدينية، والإجراءات

[1] أحمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط4، 1987، ص66.

[2] أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع، الجزء الثاني، الأنساق، القاهرة، دار الكاتب العربي، 1967، ص291-292

القانونية، وما إلى ذلك، في حين تهتم الأنثروبولوجيا الثقافية بدراسة ثقافات الشعوب المختلفة وبخاصة ثقافات الشعوب البدائية والبسيطة.

3.2 . الشخصية الاجتماعية ومحددات بنائها :

تعددت تعريفاتها بتعدد العلوم والاتجاهات الفكرية، ومن أبرز تعريفاتها أنها: العادات والأنماط والسمات الخاصة بفرد معيّن، والتي تنتج عن العوامل الوراثية البيولوجية والاجتماعية المكتسبة والثقافية التي تتباين بين المجموعات والمجتمعات[1] ،ومحددات بنائها كالتالي :

أولا– النسق القرابي: تعالَج القرابة في الدراسات الأنثروبولوجية على أنها" نظام اجتماعي بحت ينظم العلاقات الاجتماعية بين أفراد معينين في المجتمع، يُعرفون بأنهم أقارب حتى وإن لم تكن توجد بينهم صلات بيولوجية"[2].

ثانيا– النسق البيئي: ونعني بالبيئة هنا" دراسة العلاقات المتبادلة بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها"[3].

3. الأنماط الثقافية والنظم الدينية والسياسية والاقتصادية:

1.3. النمط الثقافي: لا يمكن فعلاً دراسة ثقافة ما، إلا من خلال كشف البنية الاجتماعية الكامنة ضمنها. وهذا متعلق بأداء الدور ضمن سلوك تفاعلي مع آخر. هذا السلوك التفاعلي، هو مضمار المنظور التفاعلي الرمزي، الذي يشدّد على واقع متخيّل دائم التغيّر بتغيّر الفاعلين المتفاعلين[4].

2.3. النمط الاقتصادي : تهتم الأنثروبولوجيا في مجال دراسة النظم الاقتصادية في المجتمع بمسألتين اقتصاديتين رئيسيتين :

أ– مصادر وكيفية ووسائل إنتاج السلع والخدمات المطلوبة ومن يسيطر عليها من أفراد أو جماعات.

ب– كيفية توزيع السلع والخدمات من خلال التأكيد على أنماط التفاعل البشري [5].

3.3. النمط السياسي: يشمل التنظيم السياسي بما فيه النظم التي تمارس لإقرار النظام والضبط في المجتمع، والإجراءات والقواعد القانونية والعرفية ونحوها[6].

4.3. النمط الديني: ربط فوستيل دي كولانج ربطا وظيفيا بين الدين وبين النظم الاجتماعية الأخرى. وكان أحب موضوعين لدى علماء التطور هما تطور العائلة وتطور الدين. نبذ علماء القرن العشرين النهج التطوري واتجهوا إلى تفسير الوقائع الاجتماعية

---

[1] أحمد إبريهي علي، حول مفهوم البنية الاجتماعية، الحوار المتمدن، العدد: 4983 - 2015 / 11 / 12

[2] حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، 98، فبراير 1986، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص130 وما بعدها.

[3] Beals, E.G : An introduction to Anthropology, N.Y.1965, p.455

[4] محمد عبده محجوب: الانثروبولوجيا السياسية– الهيئة العامة للكتاب، الاسكندرية، مصر، 1981، ص81

[5] Prichard Evans, Social Anthropology and Other Essays, New York: The Free Press, BBC Third Programme Lectures, 1950-1962, p.63

[6] حسن محمد، المدينة والبادية في العهد الحفصي، تونس، 1996، ج1، ص66.

– حسن محمد، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، بنغازي، 2004، ص29.

على أساس من علم النفس مستخدمين الظواهر الدينية كأساس لهذا التفسير، ثم عُرف أيضا النهج الانتشاري القائل بانتشار الدين انطلاقا من مركز معيّن، ثم الاتجاه الوظيفي[1].

4. مجتمع الدراسة ومبررات اختيار العينة :

1.4. مجتمع البحث : تقتضي منهجية البحث ضبط للحيز المكاني الذي تتحدد ضمن نطاقه المعالم الجغرافية حيث ورد اختيارنا لمجتمع قصر ورقلة ليكون الحيز المكاني والإطار الجغرافي وقد جاء هذا الاختيار بحكم أن هذا القصر لم يَنَلْ حظّه من الدراسة والبحث، خاصة في مجال بنيته الاجتماعية، رغم أنه من العتاقة بحيث صرّح هنري ديفيرييه بأنه قد يكون من أقدم مدن إفريقيا على الإطلاق.

2.4. عينة البحث: نوضح في هذا العنصر العناصر المعتمدة من قبلنا، كاستراتيجية اختيار العينة القصدية (الكيفية الغير إحتمالية) التي إعتمدناها في بحثنا هذا والتي تكونت من 8 أفراد من مجتمع البحث تم اختيارها بطريقة قصدية بناء على أطر منهجية تتوافق والمعطيات السوسيو إمبريقية التي استقيناها من الميدان، وتم تحليل المعطيات الميدانية وإدراج نتائجها ضمنيا في فقرات هذه الدراسة، وقد يبدو للمطلع على بحثنا هذا أن عدد أفراد العينة قليل بالنسبة لمجتمع الدراسة، وهذا لا يعني أننا وقعنا في خطأ منهجي حسب رأي الخبراء، بل إن طبيعة الموضوع تتطلب ذلك.

5. قصر ورقلة :

يقع على خط عرض (31° 58'شمالا) وخط طول (5° 20'شرقا)[2] وهو إداريا اليوم، ضمن بلدية ورقلة التابعة لدائرة ورقلة عاصمة ولاية ورقلة. وتحدّ ولايةَ ورقلة من الشمال ولاياتُ: الوادي وبسكرة والجلفة، ومن الجنوب: ولايتا إليزي وتمنراست، ومن الشرق ولاية الوادي ودولة ليبيا، ومن الغرب: ولاية غرداية. يبعد القصر 800 كيلومتر عن الجزائر العاصمة و1.500 كيلومتر عن مدينة تلمسان في الشمال الغربي، وحوالي 1.000 كلم عن مدينة تونس التي تقع بعيدا إلى الشمال الشرقي. بينما تفصله حوالي 3.000 كيلومتر عن الضفة اليسرى لنهر النيجر. يقع القصر في حوض وادي ميه، يحده من الشرق ومن الجنوب العرق الشرقي الكبير، وهو بحر من الرمال يرتفع حتى (200) م ويمتد إلى حوالي ثلثي مساحة ولاية ورقلة ويظهر بالخصوص في الجنوب و الشرق. وتحدّ حوضَ وادي ميه من الغرب والجنوب أيضا الحمادة، وهي هضبة حصوية. أما من الشمال فتحدّه السهول حيث يقع وادي ريغ شمال[3].

ويقع القصر، تحديدا، على شكل جزيرة، وسط الشط" السبخة"، ممتدا من الشمال إلى الجنوب، وتقع إلى الشرق منه سلسلة طويلة من الكثبان الرملية الذهبية اللون المحاذية للضفة اليمنى من الشط[4]،يسود قصرَ ورقلة المناخُ الصحراوي الذي يتميز بضعف كمية الأمطار ودرجات الحرارة المرتفعة والتبخر القوي[5] ،إضافة إلى النخيل توجد نباتات صحراوية تتلاءم مع طبيعة المنطقة حيث

---

[1] الإدريسي الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، روما- نابولي، 1971، ص109.

[2] Largeau V.,Le pays de Rirha, Ouargla, Voyage à Rhadamès, Paris, Hachette,1879,p.67

[3] https://public.wmo.int/fr/notre-mandat/temps تاريخ الزيارة 2019/04/13 الساعة 14:38

[4] A. Chevalier, Ressources végétales du Sahara et des confins Nord et Sud, Rev. Intern. De Botanique Et agriculture tropicale,t.12,n.132-134,sept. Oct. 1932, p.32

5 Madeleine Rouvillois-Brigol, Le pays de Ouargla(Sahara Algérien), Copédith,Paris,1975,p.1

يقع القصر. أما الحيوانات فتوجد بمنطقة القصر ثروة حيوانية هائلة من الإبل والغزلان والأرانب البرية والقنافذ والفنك وكذا الطيور كالغراب الأسمر والحجل الدجاجي والبط واللقلق.[1]

يعتبر قصر ورقلة من الواحات القليلة من بين واحات الصحراء الكبرى ذات المساحات المزروعة الكبيرة والكثافة السكانية العالية، وبالتالي، فإن واحته هي أكبر واحات الصحراء الجزائرية، إذ تبلغ مساحتها 6.000 هكتار، وتمتد واحته على مساحة حوالي 1.500 هكتار من إجمالي تلك المساحة[2]،وسط حوض غني بالمياه الجوفية يُعتقد أنه يعود إلى العصر الجيولوجي الرابع، وقد أطلق السكان على هذا الحوض إسم وادي مِيَه، ولعلهم يعنون مئة التي قد تكون إشارة لكثرة روافد الوادي البالغة مئة واد [3].

تبوّأ قصر ورقلة مكانة هامة في تاريخ شمالي إفريقيا، وكان له دوره في تاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط أيضا، بما كان البوّابة إلى بلاد السودان الغربي، كما يقول عنه إبن خلدون في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي[4]،يفيدنا التاريخ المكتوب بأن حوض وادي ميه مرتبط بقبيلة "بني ورجلان" الزناتية، يتحدث هؤلاء اللهجة الورقلية (تقارقرنت) وهي لهجة زناتية قريبة من تاشلحيت المنتشرة في جنوبي المغرب الأقصى، وينتسبون إلى قبيلة "ورجلان" إحدى بطون قبيلة زناتة الأمازيغية، وهي قبيلة تحضّرت منذ فجر التاريخ، بعد أن تخلّت عن حياة الترحال الذي عرفته من قبل، وهي ثلاثة عروش: بني إبراهيم، بني سيسّين، بني واقّين، وهم الذين أسسوا "قصر ورقلة العتيق" وأطلقوا عليه اسم قبيلتهم، ولكل عرش من العروش الثلاثة حي خاص به في القصر، وما يزال عامرا بخلفهم إلى يومنا[5].

وفدت إلى وادي ميه هجرات كثيرة، أبرزها القبائل العربية: الشعانبة، المخادمة، بني ثور، سعيد عتبة وغيرها. كما هاجرت إلى القصر أسر ينتسب أكثرها إلى أصول عربية، جاؤوا مع القوافل التي جاء معها من سكان حوض نهر النيجر أيضا[6]،ويتعايش في قصر ورقلة السنّة المالكيون مع الإباضيين أتباع مذهب عبد الله بن إباض التميمي، وذلك منذ قرون متطاولة، شهدت حملات من الحمّاديين أتباع الفاطميين على الإباضيين، ونزاعات صنهاجية– زناتية، وفي ما بين القبائل العربية، وكذلك نزاعات مميتة بين سكان القصر بأحلافهم، قبل أن يتفاهم الجميع على التعايش بسلام[7].

---

[1] Lethieulleux Jean, Ouargla cité saharienne, des origines au début du 20eme siècle, Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1983,p.2

[2] التواتي بومهلة، ورقلة بوابة بلاد السودان، دار المعرفة، الجزائر، 2011، ص11-12

[3] ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار إحياء التراث العربي، المجلد السابع ،بيروت، لبنان، 1978، ص69

[4] التواتي بومهلة، م.س.ص13 وما بعدها

[5] J. Delheure, Vivre et mourir à Ouargla, Société d'Etudes Linguistiques et Anthropologiques de France, Paris, 1988, p.19

[6] http://www.ons.dz/collections/w30_p2.pdf (PDF).. Données du recensement général de la population et de l'habitat de 2008 sur le site de l'Office national des statistique تاريخ الزيارة 2019/04/13 الساعة 17:19

[7] الازهاري عباز، نظام المشائخ في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال 1603-1884م، رسالة ماجستير، جامعة الوادي، 2013-2014م، ص18-19

يقدّر عدد سكان مدينة ورقلة بما فيها قصر ورقلة بـ 133.024 نسمة حسب إحصاء سنة 2008 [1]وكانت إحصائية أجراها المستعمر سنة 1865 قدّرت عدد السكان المستقرين في ورقلة بقراها السبع بحوالي 14.200 نسمة، مع الإشارة إلى أنها اعتبرتهم ثلاثة عروش فقط، أي من الراجح أن هذا هو عدد سكان القصر فقط، أما الرحل فبحوالي 12.000 نسمة[2].

تعتبر المحروقات أهم نشاط سكاني ومورد اقتصادي بولاية ورقلة، حيث يقع القصر. كما يعمل في التمور جانب كبير من السكان، وتزيد وفرة المياه الجوفية من أهمية هذه الثروة الهامة والاستراتيجية، إضافة إلى محاصيل أخرى كالقمح والشعير والبقول والأشجار المثمرة بشتى أنواعها وتربية الماشية كالإبل والأبقار والأغنام، وللقصر ميزة سياحية هامة بما يحويه حوض وادي ميه، حيث يقع القصر، من الشواهد والآثار والمعالم، منها قصر ورقلة نفسه وسدراته وكذلك لالة كريمة وبرج ملالة ببامنديل، وقصر سيدي خويلد، وغيرها من المعالم السياحية والتاريخية كالمتاحف والبحيرات والحمامات والينابيع الطبيعية الاستشفائية [3].

لم تكن مدينة ورقلة ذات أهمية كبيرة، من الناحية الإدارية، رغم كونها أهم قطب اقتصادي في الدولة يقع على مفترق طرق وطنية" الطريقان الوطنيان: "03 و49"، إلا بعد تصنيفها كولاية بعد التقسيم الإداري لسنة 1962م، ونتج عن ذلك استقبال عدد كبير من الأيدي العاملة، مما أدى إلى عدم تجانس في التركيبة الاجتماعية والعمرانية، ناهيك عن مشاكل التربة التي تمثل مجرى وادي ميه المطمور(صعود المياه)[4].

6. البنية الاجتماعية لقصر ورقلة :

يعتبر قصر ورقلة، منذ سنة 1996، من بين 12 قصرا المصنّفة كتراث ثقافي وطني، من أصل 575 قصر مسجلة في الجزائر، وهو أيضا، منذ سنة 2011، من بين القصور السبعة المحمية في الجزائر، يضم القصر حوالي 2.300 منزل تمثل حوالي 17.6 في المئة من مجموع عدد المنازل في مدينة ورقلة، على مساحة تقدّر بحوالي 1 في المائة من مساحة المدينة، المأهولُ من بين هذه المنازل 1382 منزلا أي نسبة حوالي 60 في المئة، وفي حين تُعدّ نسبة حوالي 26 في المئة من المساكن غير مأهولة، نجد أن نسبة 6.5 في المائة منها متهدمة كليا، ونسبة 7.5 في المئة آئلة للسقوط وفي حالة يرثى لها[5].

والقصر ذو كثافة سكانية مرتفعة تمثل 97.69 بالمئة من إجمالي المساكن في الهكتار الواحد و363 ساكنا في الهكتار أيضا، ويمتد القصر على مساحة 31 هكتارا. مقابل حوالي 40.34 بالمئة من إجمالي المساكن في الهكتار بالنسبة لمركز المدينة، و67 ساكنا في الهكتار في مركز المدينة أيضا الذي يمتد على مساحة 679 هكتارا[6].

---

[1] http://www.dtaouargla.com/ar/%d8%a7%d9%84%d8%b1%d8%a6%d9%8a%d8%b3%d9%8a%d8%a9/ الزيارة 2019/4/13م تاريخ

[2] بثينة غيلاني، الهوية الاجتماعية للجماعات الاجتماعية في مدينة ورقلة، دراسة ميدانية بقصر ورقلة أنموذجا، رسالة تخرج، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص 82

[3] Manel Bouchemal & Salah Chaouche, La patrimonialisation d'un site suffit-elle à sauvegarder un lieu historique ? Cas du Ksar de Ouargla, in Les mutations de la ville saharienne-Approches croisées sur le changement social et les pratiques urbaines, Mars 2015, Ouargla, Algérie, p14

[4] بثينة غيلاني، م.س.، ص103

[5] بثينة غيلاني، م.س.، ص102

[6] الازهاري عباز، م.س. ص28.

1.6. النسق القرابي: تَجْمَعُ سكانَ قصر ورقلة الأصليين أي المؤسسين رابطةُ الإنتماء لقبيلة ورجلان إحدى القبائل الزناتية التي يحمل القصر إسمها، وقد تحولت قبيلة ورجلان مع مرور الزمن إلى كونفدرالية تضم ثلاثة عروش هي: بني سيسّين وبني إبراهيم وبني واقّين. تتقاسم في ما بينها أحياء القصر الثلاثة، سادت مجتمع القصر عبر التاريخ، وإلى يومنا، التركيبة الاجتماعية التالية:

- طبقة الأحرار وهم النبلاء.
- طبقة الحمري وينحدرون من أصل العبيد السود الإباضيين.
- طبقة الأخلاص وهم مساعدو الرجال الأحرار وينحدرون من سلالة العبيد السودانيين.
- الأصمح : وهم مزيج من العبيد السودانيين والأخلاص بقوا محافظين على مذهبهم[1] .
- رجال الحشان : وهو لقب غلب عليهم لاشتغالهم بالنخيل، والحشانة هي الفسيلة [2].

وتعتبر العائلة في المجتمع الواحي بشكل عام وقصر ورقلة بشكل خاص، وحدة أساسية للإنتاج والتنظيم الاجتماعي، تلعب العائلة العديد من الأدوار فهي التي تنقل القيم الجماعية للأفراد من خلال آليات التنشئة الاجتماعية، كما تجسد الجماعة وتعتبر مرآة لها في نفس الوقت. تنتج هذه المؤسسة الكثير من القيم التي تعتبر الأساس التي تنظم من خلالها الجماعة، ولكن الأسرة في المجتمعات التقليدية تحتكم إلى العرف والجماعة والأعيان، فالقوانين المكتوبة وبقوة العرف، تفسح المجال لهذه المكونات التقليدية لتلعب دورها في مثل هذه الحالات، على سبيل المثال تزويج البنات حتى قبل بلوغهن سن الزواج حيث يتم الاتفاق بين العائلات فحسب، دون الرجوع إلى قوانين مدونة الأسرة[3].

النظام الأبوي الذي ترتكز عليه هذه المؤسسات التقليدية يحاول جاهدا أن يحافظ على نفسه أمام كل الظروف، بالنظر إلى وضعية المرأة في قصر ورقلة، نستشف مدى بعد القوانين الوضعية عن الواقع المعيش للمرأة في القصر، صحيح أن هناك قوانين تحمي وتصون كرامة النساء وحريتهن لكن، أمام هذه الذهنيات والأعراف تصبح هذه القوانين موقوفة التنفيذ، وما يزال مجتمع القصر إلى اليوم ينعت النساء سليلات النبلاء بالشريفات[4].

هذا ولم يكن قصر ورقلة مغلقا خصوصا حين كان محطة للقوافل، باعتبار أن حركة التجارة ضخّت به مؤثرات متنوعة، وهو ما يعرف بالهجرة التجارية التي لم تكن ذات حجم كبير يمكن ملاحظته، إذ أنها تشكلت في الغالب من رجال أفراد كانوا يفدون للتجارة أو لأغراض أخرى، ثم يستقر بهم المقام ويستوطنون، فتنحدر منهم سلالة. وبغض النظر عن الجوانب الأسطورية في روايات استقرار أجداد بعض الأسر في القصر، وتحصّلها على خطة سكنية في البنية الحضرية، غير أنها تحمل في طياتها بعض الدلالات الرمزية، أهمها حرص السكان على إظهار أنفسهم نموذجا لنمط عيش "متحضر" ومستقر بهذا الجزء من الصحراء، ولهذا السبب

[1] بلال بوجراف، عمرانية قصر ورقلة العتيق: الماضي والراهن، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 33 مارس 2018، ص185-186

[2] محمد شعشوع بن ساسي، الدليل الأساسي في توضيح نسب بن ساسي، دار هومة، الجزائر، 2010، ص189

[3] OULD CHEIKH (Abdel Wedoud), Nomadisme, islam et pouvoirs dans la société arabe précoloniale, (Thèse de doctorat en sociologie), la Sorbonne, Paris, 1984,p.65.
- TOPET (Charles), « L'évolution du nomadisme au Sahara central », Nomades et Nomadisme au Sahara, Paris, 1963, p.67-79.

[4] TAINE-CHEIKH (Catherine), « Toponymie et urbanisation », *Espaces et sociétés au Sahara, Cahiers de l'URBAMA*, n°33,1988, p.77-86.

فإن الانتقال من حياة البداوة والترحال إلى الاستقرار لا يمكن أن يتم من خلال جهد طبيعي، بل ينبغي لتحقيق هذا التحول إدخال عناصر "فوق طبيعية" ميتافيزيقية مثل الخوارق[1] ،ولقد عرف القصر حركة إعمار بشرية مكثفة تعكس أهميته التجارية، وهذا ما يمكن استنباطه مما بقي عالقا بطوبونيميا أسماء أماكن لقبائل أو أسر أو سلالات أو شخصيات غادرته في ظروف غامضة، وقد بقيت هذه الأسماء شاهدا على وجودها بالموقع [2].

ويعد قصر ورقلة أكثر القصور الصحراوية خططا، بالنسبة للقبائل والعروش التي لم تشارك في تأسيس الحاضرة، وهي خاصية يتميز بها عن باقي القصور الأخرى، فتتبع تاريخه يكشف عن انفتاحه اتجاه القبائل الوافدة إليه بإقطاعهم خططا، وهو ما شكل استثناء في هذه المسألة مقارنة بالقصور الأخرى؛ فمن المعلوم أن بعض الأسر (المعروفة محليا بالمهاجرين) استقر بها المقام في ورقلة فترة طويلة من الزمن، ولم تكن لها خطط سكنية خاصة بها، بل كانت تقيم ضمن خطط العروش الثلاثة، كل ذلك جعل قصر ورقلة ينفرد من بين القصور، بإقطاع القبائل الوافدة إليه خططا مستقلة [3].

ولنا أن نتساءل في هذا السياق ممّ ينبع هذا الموقف المتقبل للآخر بورقلة دون غيرها من القصور؟ وكيف انبعث هذا الموقف من رحم سمة التحفظ المميزة لسلوك الورقليين؟ نعتقد أن كمّ تراكم تجربة ورقلة الحضرية أكثر من باقي القصور، وموقعها في مفترق عرقي على تخوم مع بلاد السودان، قد شكّلا أحد أهم محددات هذه المسألة، وجعلا من المساكنة في القصر نسقا قرابيا يربط بين ساكنته مهما اختلفت أصولهم.

يؤكد ذلك ابن خلدون حيث يقول بأن بني ورقلة أو بني واركلا حسبما يورد في تاريخه:" اختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد، على ثمان مراحل من بسكرة، في القبلة- أي الجنوب- عنها ميامنة إلى المغرب، بَنَوْها قصورا متقابلة متقاربة الخطة ثم استبحر عمرانها فائتلفت وصارت مصرا واحدا" [4]ويكفينا قولُ ابن خلدون هنا" ائتلفت" للدلالة على الألفة والقرابة المتأتية من كونهم يسكنون" مصرا واحدا" أي مكانا واحدا.

شهدت واحة ورقلة هجرات عديدة، حيث توسعت كنفدرالية القصر، وعروشه الثلاثة [5]،وكانت الهجرة ثم الزيجات، وكذلك الحاجة إلى اليد العاملة في النخيل وفي القوافل وفي الصناعة التقليدية، عوامل للتحول، إضافة إلى عامل التقوّي بالمهاجر الجديد حين يكتسبه هذا العرش أو ذاك في مقابل العرشين الآخرين وأحلافهما من القبائل الرحّل. كلها كانت عوامل للتحول، بالنظر إلى تاريخها

[1] Lethieulleux Jean, Op.cit.,p.87 et suivantes

[2] ابن خلدون، م.س. المجلد السابع، ص69

[3] Cauvet Cdt. Notes sur le Souf et les Souafa,B.S.G. Alger 1934, p.393
- Giacobetti P., Les palmiers de Ouargla, Notes manuscrites, 1900
Le Chatelier A., La revification de l'oued Mya, manuscrit de 315 p., 15 sept. 1883

- ابن خلدون، م.س.، المجلد السابع، ص70.
- الازهاري عبّاز، م.س. ، ص132.

[4] أولاد سالم نسيمة، واقع النمو السكاني والتنمية المحلية خلال العقد الأخير لولاية ورقلة، 2000-2009، رسالة ماستر جامعة قاصدي مرباح، 2012-2013، ص19-20.

- خليفة عبد القادر، حضرية مدن الصحراء الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 8، جامعة ورقلة، 2012، ص5-6.

[5] مفلاح ثوريا، الخلفية السوسيو ثقافية للبدو المتمدنين وانعكاساتها على الممارسات الحضرية، رسالة ماستر، جامعة قاصدي مرباح، 2014-2015، ص42.

في قصر ورقلة، ثم في فترة ما بعد الاستقلال؛ وإن بنسبة متفاوتة، إذ يتضح أنه مسار تراكمي للعديد من التحولات التي عرفتها المنطقة، وفي هذا السياق يجب التمييز بين ثلاثة أنواع من الهجرة :

– الهجرة الداخلية، من القصر إلى مظنّات العمل والدراسة في الداخل.

– الهجرة الخارجية من القصر إلى خارج الدولة.

– الهجرات إلى مدينة ورقلة ومحيطها من المدن الأخرى [1].

في ما يخص الهجرة الداخلية، يعتبر العامل الديمغرافي في واحات وادي ميه في فترات معينة أساسيا لفهم ظاهرة الهجرة؛ فللعائلات في قصر ورقلة استراتيجيات متعددة في ما يخص التدبير الاقتصادي، حيث يتم توزيع الأدوار بين أفراد العائلة بين الفلاحة والشأن المنزلي وغيرها من الأمور الاجتماعية، وفي هذا الإطار تعتبر عملية الدفع بالأبناء للهجرة نحو مظنّات العمل، استراتيجية أساسية لضمان مورد اقتصادي مستقل عن النشاط الفلاحي[2].

إذن تأتي مسألة الهجرة كاستراتيجية بالنسبة للعائلات لضمان مورد اقتصادي جديد، لذلك تجد لدى كل عائلة فردا أو أكثر من فرد مهاجر في الداخل، هذه مسألة أساسية بالنسبة للعائلات داخل الواحة، هذا إلى جانب التمدرس واستكمال الدراسة في الجامعة. لكن بالمقابل في السنوات الأخيرة ولأسباب مرتبطة بالتراجع الكبير في المجال الفلاحي والأنشطة المرتبطة به إزدادت نسبة الهجرة بين أفراد العائلة الواحدة، حتى أصبحت ظاهرة شاملة لكل أفراد العائلة خاصة الذكور الشباب، في حين أن هجرة الإناث ما زالت ضعيفة بالمقارنة مع الذكور، ويرجع هذا بالأساس إلى الطبيعة الذكورية للمجتمع الواحي[3].

وهكذا تجتمع العديد من العوامل لتنتج لنا هجرة واحاتية قوية، فنقص فرص الشغل، وضعف الإنتاج الفلاحي، ثم ضعف إمكانيات النشاط التجاري، كلها عوامل تشجع هجرة الشباب.

أما في ما يخص الهجرة الخارجية، فيلاحظ أنه في فترات تاريخية معينة استقطبت بلاد السودان وكذلك دولة ليبيا وبنسبة أقل أوروبا وخاصة فرنسا، اهتمام مهاجرين من قصر ورقلة. كانت هذه العملية بالنسبة للكثير من سكان المنطقة فرصة من أجل تحسين ظروفهم المعيشية ولعائلاتهم، حيث ساهمت كذلك ظروفهم الاقتصادية الهشة في القصر في الدفع بهم من أجل اتخاذ قرار الهجرة. اليوم وقد مرت سنوات على هذه الهجرة، نجد أن هؤلاء المهاجرين، على الأقل نسبة كبيرة منهم، عادوا أو يعودون من وقت لآخر إلى مهدهم[4].

أما الهجرة إلى مدينة ورقلة ومحيطها، فقد تضاعفت بعد اكتشاف النفط، وأدت إلى انفجار ديمغرافي وعمراني، نتج عنه عدم تجانس في التركيبة السكانية، وطرح مشاكل عديدة من بينها على الصعيد الأمني وتسيّب الشباب. فلم تكن هذه الهجرة كسابقاتها على مرّ تاريخ قصر ورقلة، ليتم استيعاب أصحابها في إطار عرش من العروش الثلاثة الآهلة للقصر؛ لأن هذه العروش لم تعد لها

[1] خليفة عبد القادر، مقاربة أنثروبولوجية للهياكل الاجتماعية والأسرية وتحولات المجال في واحة من الجنوب الشرقي الجزائري، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002–2003، ص91.

[2] خمقاني عبد المجيد، الخلفية السوسيو ثقافية لطالبي الشغل وانعكاساتها على استجابتهم لسياسات التشغيل، مذكرة ماجستير، جامعة غرداية، 2013–2014، ص13–14.

[3] مفلاح ثوريا، م س، ص42.

[4] التواتي بومهلة، احتلال الصحراء الجزائرية، ، دار المعرفة، الجزائر، 2012م، ص5.

إمكانية الاستيعاب بسبب وجود الدولة، كما أن الأعداد المهاجرة تفوق القدرة الاستيعابية للقصر، حدث هذا أيضا، بالتوازي مع استقرار الرحّل الذين كان لهم دورهم الكبير في التوسع السكاني والعمراني معا للمدينة[1].

2.6. النسق البيئي: إن موقع القصر بمنطقة صحراوية قاحلة (تمثل مساحة الصحراء في الجزائر أكثر من 80 % من مساحة الدولة الإجمالية البالغة 2.381.741 كم مربع)[2]، مثّل محدِّدا مهما بالنسبة لهذه المسألة، فقد ظلت البداوة والترحال نمط العيش المهيمن لدى جل سكان هذا المجال على مرِّ التاريخ، بفعل ما أملته الصحراء من قسوة المناخ [3] ،ولذلك لم يكن المستقرون يمثلون سوى نسبة يسيرة من السكان مقارنة بأعداد الرُّحل[4] ،كما أن البعد عن مركز السلطة المركزية يُعد من بين أهم أسباب تواضع الإرث الحضري لهذا القصر .

ولئن اتسمت بنية النسيج الحضري لقصر ورقلة بالعفوية، لأنها لم تكن مخططة نتيجة لاعتبارات حضارية وبيئية، حالت دون بلوغها مستوى تحضر كبير، إلا أن بعضا من مظاهر الاجتماع الحضري به شكلت استثناء لما هو سائد في المجال البدوي، فقد تميز القصر بنسيج شبه حضري، يتقاطع في نواحي عديدة منه مع ما كان سائدا في المدن الإسلامية [5].

وقد أملى تعدد العروش بهذا القصر إلى تقسيمه تبعا لخطط معلومة، كما أن تجارة القوافل حملت بعض الخصائص المميزة لنسيجه الحضري، فقد وجدت به رحاب شكلت إضافة إلى السقائف فضاءات عمومية، في حين شكلت المساجد والمنشآت المائية التقليدية والمقابر عناصر تكميلية لهذا النسيج[6].

ويبدو أن الحساسيات والمشاكل التي حصلت بين بعض من سكان هذا القصر أدت إلى احترام صارم للخطط كضوابط للحدود الداخلية، ففي قصر ورقلة، كانت الخطط السكنية أداة للفصل والتمييز بين مختلف المكونات القبلية خصوصا في ضوء تعددها، إذ أنها كانت تقيم نوعا من الحدود بين السكان. كذلك كانت المضارب والأحياء بالمجال البدوي التي تتكون في الغالب من قبيلة أو بطن واحد، لها خططها خارج القصر، وهذا النظام كان العمل به جاريا في المدن العربية الإسلامية الأولى وهو ينبُع من ذهنية راسخة لدى القبائل البدوية، التي لم تكن تتصور السكن خارج إطار القبيلة[7].

---

[1] MONOD (Théodore), Méharées, Paris, (nouvelle édition)1989, p.142.

[2]– ظل الإنسان الزناتي والعربي، على حد السواء، ينوءان بإرث راسخ من التقاليد البدوية وحياة الظعن، مما كان أقوى من كل مؤثرات التحضُّر، كما أن ضعف أنظمة مثل تلك التي شهدها قصر ورقلة واتسامها بالعرضية نظرا لعدم استمرارها على مدى طويل في التاريخ المحلي، جعلها مجرد استثناء لحالة السيبة وغياب السلطة، فضلا عن طبيعة الحياة الظاعنة لهذا المجتمع البدوي وما يصاحبها من حركة مجالية واسعة لتذليل الضغوط الإيكولوجية في فضاء جغرافي واسع. ذكر ابن حوقل أن أخت ملك أودغست المدعو تنبروتان كانت تملك لوحدها ألفا وخمسمائة بعير.

– راجع: ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت، (د.ت)، ص.98. مما يعطينا صورة عن حجم ما كان يمتلكه البدو من الإبل.

– شكلت الشراكة بين الرحّل الصنهاجيين رعاة الإبل وكذا القبائل العربية من جهة والتجار المغاربيين (أغلبهم من زناتة وخاصة الإباضية) المترددين على أودغست وغانة ضمانا لانتظام سير تجارة القوافل . تاريخ ابن خلدون – (ج 7 / ص 52). كما أن استعمال حِمل البعير كمقياس للكَيل ينم عن حس بدوي مفرط.

[3] جعيط هشام ،نشأة المدينة العربية ،بيروت ،1993 ،ص130–134.

[4] الدولاتلي، مدينة تونس في العهد الحفصي، تونس، 1981، ص 26.

[5] الدولاتي، المرجع السابق، ص137.

[6] أولاد سالم نسيمة، م س،ص 43.

[7] بثينة غيلاني، م س، ص92.

عرف المجال الواحي للقصر العديد من التحولات على المستوى المعماري بالخصوص. فاستقدام الرأسمال المادي، خاصة بعد الاستقلال، أدى بشكل كبير إلى تغيير في الرأسمال الرمزي للواحة، لكن بالمقابل، وعلى الرغم من كل هذه التغيرات التي عرفها المجال الواحي، ما زال العديد منهم يحافظون على الوسائل التقليدية في البناء، كشكل من أشكال المقاومة للتأثير الذي أحدثه نمط المدينة على المجال الواحي للقصر. هذا دون الحديث عن النقص الملحوظ في واحات النخيل التي التهمت الأحياء الجديدة العديد منها، وأدى التوسع العمراني إلى مضايقتها، مما انعكس على البيئة انعكاسا ملحوظا[1].

3.6. النمط الثقافي: يرى الباحثون بأن التأثير الفينيقي في قصر ورقلة، إنما جاء لاحقا متمثلا في اعتقادات ورموز معيّنة ظلت سائدة حتى ما بعد الفتح الإسلامي، بل إلى يوم الناس هذا (كالرموز الموجودة على الأبواب التي تشبه حرفي" لام ألف" وهي تعود إلى الفينيقيين والقرطاجيين)[2] .

وقد تم اكتشاف قطع ذهبية فينيقية على الطريق الرابط بين ورقلة والمنيعة عند حاسي الحجيرة. والتماهي الفينيقي- الأمازيغي يظهر جليا، من بين أمور أخرى، من خلال أبجدية التيفيناغ الأمازيغية.

وتعتبر المسألة اللغوية في قصر ورقلة، عاملا أساسيا في فهم التحولات السوسيو- اجتماعية في هذا القصر. إذ من المؤكد أن التحولات التي مست البنيات الاجتماعية لقصر ورقلة شملت أيضا الحقل اللغوي، باعتباره حقلا منسجما مع باقي الحقول الاجتماعية الأخرى. إن فهم الهوية الاجتماعية لمعظم الواحيين مقرون بالدرجة الأولى باللغة المحلية. وتعتبر اللغة العربية والأمازيغية، نوعا خاصا مميزا للعديد من سكان القصر، حيث تمتزج اللغة العربية بالأمازيغية والأمازيغية بالعربية. ويرجع ذلك تاريخيا إلى التلاقح الذي عرفته بعض القبائل الأمازيغية والقبائل العربية. قدوم العديد من القبائل خلال فترات تاريخية معينة- كما رأينا سابقا- أسهم بشكل جلي في بناء الفضاء اللغوي في قصر ورقلة بشكل عام، حيث تشكل اللغة مجالا للتعبير الهوياتي للعديد من المجموعات والفرق المكونة لقصر ورقلة[3].

في قصر ورقلة يتحدث غالبية الساكنة باللغة الأمازيغية، وبالخصوص " تقارقرنت". يمكننا القول إن السوق اللغوية بالواحة المشمولة بالدراسة مسألة أساسية لفهم التحولات الاجتماعية، وكذلك الهوية الاجتماعية. يعتبر العديد من الواحيين أن اللغة والثقافة الأمازيغية جزء أساسي من هويتهم إلى جانب الثقافة العربية والإسلامية، بل يسهر الواحيون في الحفاظ على هويتهم الأمازيغية من خلال تواصلهم الدائم باللغة الأمازيغية وتعبيراتها المختلفة. و لا يخفي الواحيون في " قصر ورقلة " تخوفهم من استيعاب اللغة الأمازيغية من طرف اللغة العربية، على اعتبار التحولات السوسيو – لغوية التي عرفتها عوامل التحول في قصور الواحات في الجنوب الجزائري الكبير. فالعديد من شباب المنطقة يتواصلون في أحايين عدة باللغة العربية، مما يشكل تغيرا في النمط التواصلي السائد لدى الجيل الأول[4].

ازدواجية اللهجات المحلية التي تميز قصر ورقلة، واختلافها على مستوى التموضعات الاجتماعية يشكل إطارا أساسيا لفهم الظاهرة اللغوية بارتباطها بالمتغيرات الاجتماعية، يشكل التواصل بين هذه المجموعات شكلا أساسيا للتعايش السلمي، على اعتبار

[1] Bradford Lewis, on the steps of Ugaritics phaistos, 2012, p130
[2] Claude, Dubar, La Crise des identités, 2010, PUF, p.120
[3] Bradford Lewis, 2012, op. cit, p.21
[4] Valensi Lucette, Le Maghreb avant la prise d'Alger, Paris, Éditions Flammarion, 1969, p.38

أن اختلاف اللهجتين لا يشكل عائقا في التواصل بين المجموعات، غير أنه يشكل عاملا للتمييز في بعض الأحيان، والدليل على ذلك هو استمرار اللهجتين في التواجد رغم اختلافهما.

وتشكل اللهجة عاملا أساسيا للانصهار والتلاحم بين المجموعة الواحدة، حيث تشكل الإطار الموحد لها والذي يمثل هوية المجموعة، ثقافيا وعرقيا وكذلك دينيا. تشكل اللغة العربية بالنسبة لهذه المجموعات وسيلة تواصل بين الغرباء الذين لا يتحدثون اللغة الأمازيغية. وإنه لمن المفارقة أن نجد أنه على الرغم من اعتبار هذه المجموعات أن هويتها عربية إسلامية أمازيغية، إلا أنهم لا يخفون حرصهم الحفاظ على اللغة الأمازيغية، التي يعتبرونها الأم، والتواصل بين أبناء نفس المجموعة لا يتم في غالبية الأحيان إلا باللغة الأمازيغية، وبالأحرى اللهجة المحلية[1] .

4.6. النمط الاقتصادي: توضح لوسيت فالنسي، من خلال دراستها للمجتمعات المغاربية، بشكل عام، أن هذه المجتمعات لم تعرف تطورا في قوى الإنتاج، وكذلك على مستوى التقنية إلا مع الفترة الكولونيالية، مما يؤكد تبعية التطور الذي عرفته هذه المجتمعات للدول المستعمرة [2] .

وفي قصر ورقلة كانت تجارة القوافل في يوم من الأيام مهنة محبذة لدى الجميع، بل لم يكن إلا القليل من الناس هم الذين يلجؤون إلى الأنشطة الفلاحية والصناعة التقليدية أو الهجرة من أجل العمل لضمان القوت اليومي لجميع أفراد العائلة، إلا أنه مع اكتشاف النفط وقيام الدولة الحديثة، وخاصة بعد الاستقلال، انقلب المجنّ. وتراجع المحصول الفلاحي بسبب ذلك، وبسبب التقسيم المتوالي للأرض عن طريق الإرث، والجفاف الذي تعيشه هذه الواحة، وعوامل التصحر التي اجتاحت العديد من الواحات، أدى كل ذلك بالعديد من الناس إلى اللجوء إلى مجالات أخرى من أجل العمل وتوفير مستلزمات الحياة الضرورية.

لذلك لجأ العديد منهم إلى التجارة المحلية كنشاط آخر للدخل، وإلى العمل في مجال النفط والخدمات. و تعد التجارة عامل أساسي في التغير الاجتماعي، حيث تنتقل العلاقات الاجتماعية في الواحة، من علاقات القرابة والعائلة والأخوية والتضامن بين أفراد القصر إلى علاقات رأسمالية يغلب عليها الجانب المادي والربحي، بل في أحايين أخرى تتجاوز هذه العلاقات الأفراد أنفسهم، حيث يصبح المال متحكما في هذه العلاقات ،تغيرت كذلك الأدوار التي كان يلعبها السوق ولم تعد بتلك القوة التي كانت عليها في فترة الاستفلال الأولى، أي قبل الاستعمار، حيث كان السوق يؤدي أدوارا سياسية واجتماعية[3].

وفي سياق آخر يعتبر التوازن الاجتماعي بين المجموعات المكونة لقصر ورقلة، عاملا أساسيا لفهم التحولات على مستوى الأدوار التي تقوم بها كل مجموعة على حدة، فمفهوم التوازن الاجتماعي في هذا الإطار يعد مفهوما مركزيا لفهم الانتقال الذي عرفه قصر ورقلة حيث الانتقال من سلطة الأقلية إلى سلطة الأغلبية، ففي فترة تاريخية معينة وبالخصوص فترة حكم آل علاهم، كانت السلطة في يد القبيلة أو القبيلتين الموالتين للحاكم، حيث تبسط القبيلة أو القبيلتان نفوذهما على القصر باسم الحاكم [4].

---

[1] خليفة عبد القادر، مقاربة أنثروبولوجية للهياكل الاجتماعية والأسرية وتحولات المجال في واحة من الجنوب الشرقي الجزائري، م.س.، ص93

[2] بوعافية نعيمة، التركيب السكاني لولاية ورقلة ،دراسة تحليلية لنتائج تعداد 2008 ،رسالة ماستر ،جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، ورقلة، ص48.

[3] خليفة عبد القادر، مقاربة أنثروبولوجية للهياكل الاجتماعية والأسرية وتحولات المجال في واحة من الجنوب الشرقي الجزائري ، م.س. ص99

[4] التواتي بومهلة، إحتلال الصحراء الجزائرية، م.س.، ص87

إن ما يلاحظ انطلاقا من العناصر التي عبر عنها جل المبحوثين، هو مدى فاعلية المجتمع التقليدي في إحداث التغيير والسير نحو التحديث، الملاحظة الأولى التي تفرض نفسها بقوة هي حضور المؤسسات المحلية بما فيها الحكومية والخاصة، ودورها الأساسي في إحداث التغيير في الكثير من الأمور المرتبطة بالبنيات الاجتماعية.

وتعتبر الأرض من العوامل الأساسية في العملية الاقتصادية في الواحات بشكل عام وواحة قصر ورقلة بشكل خاص. ففي هذا القصر من الصعب بمكان على الغريب أن يمتلك الأرض، فالعرف السائد هو أن الأرض هوية القبائل وبالأحرى هوية الفرد داخل القبيلة. بل الأبعد من ذلك كان يمنع على الأفراد من نفس العائلة أن يبيعوا الأرض إلى الأفراد الذين لا ينتمون إلى العائلة حتى وإن كانوا من نفس القبيلة، وكان ذلك سببا للعديد من الصراعات بين الأبناء والأعمام حول هذه المسألة، حتى نظرة القبيلة إلى من يبيع أرضه غالبا ما تكون نظرة دونية تنقص من شأن صاحبها، إنه عرف ما زال الناس يحتفظون به إلى اليوم. والقبائل التي ترتبط بالأرض وتمنع بيعها لغير المنتمين لنفس القبيلة، هي بالأساس القبائل التي تربط بينها علاقات النسب والأصل المشترك، حقيقيا كان أو وهميا [1].

5.6. النمط السياسي: قبل زهاء نصف قرن من الآن كانت ثلة من الذين تعلموا في مدارس المستعمر من أبناء القصر على دراية كافية بضرورة التخلي عن حياة القبلية" العروش" والصراع، لما لها من انعكاسات سلبية على المجتمع، لصالح الانتظام داخل الدولة. خاصة وأنهم يدركون أن القصر الذي ينتمون إليه يضم إثنيات ومذاهب مختلفة، وأنه كان على مرّ تاريخه ضحية انقسامات دموية يعود بعضها إلى تفصيل بعض العروش في القصر، بل بعض شخصياته، للحكم على مقاسهم[2].

والحالات التي يحدث فيها ذلك هي حالات غير حميدة وسيئة الصيت، لما تنتجه من أثر سلبي عميق على بنية المجتمع، يتمثل في حلول رؤية إنسان أو فئة، محل رؤية كل المجتمع. وبالتالي تتشكل جزيرة اجتماعية ـ نخبة منظمة ومسيطرة داخل هذا المجتمع قد لا تقيم وزنا إلا لتصوراتها، مما قد يذكي شعورا عاما داخل المجتمع بأن كل ما هو صادر عن هذه الجماعة مرفوض "مبدأً" من قبل باقي مكوناته، لأنه لا يمثل إلا ما تمثله تلك الجماعة. وهذا يعني أن تشكيل النظام الحاكم لبنية العلاقة داخل المجتمع وفق هذا النمط لن يؤدي كما أكد على ذلك "جان وليام لابيار" إلى تحقيق انسجام مجتمعي يستبعد كل علاقة اجتماعية سلبية[3].

إن هذا يمكن أن يزودنا بآلية منهجية نقيس من خلالها مستوى التناغم بين أولويات التنظيم السياسي كإطار جامع يستهدف تذويب التناقضات تحقيقا لما يراه مصلحة عامة للمجتمع، وبين رؤية المجتمع لما يفترض أن يشكل إطارا جامعا مقبولا لإحتواء تناقضاته تحقيقا لمصالحه. وترتكز هذه الآلية على مؤشري قياس:

---

[1] جان وليام لابيار، السلطة السياسية، ترجمة الياس حنا الياس، ط 2 (بيروت: منشورات اعويدات، 1977)، ص 74.

[2] والمقصود بالبنية التحتية هنا ليس ذلك التصور الماركسي الذي يختزلها في "علاقات الانتاج". إنما المقصود بها مجموع التفاعلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تحدث داخل المجتمع. أما البنية الفوقية فهي مجموع القواعد الضابطة للسلوك التي تنشأ بفعل "التدافع" الذي تشهده هذه التفاعلات بهدف حماية النظام من التفكك والانحلال. وهكذا وحتى تكون البنية الفوقية مدعمة للاستقرار، وحائلا دون خلق وتعميق الأزمة السياسية، لا بد أن تكون نتاجا للبنية التحتية وانعكاسا للتدافع الذي تشهده؛ إذ بدون ذلك يتحول التدافع من مستواه العادي داخل البنية التحتية، إلى مستوى غير عادي مجاله البنية الفوقية. وهو ما يمثل أولى تجليات الاحتقان والأزمة السياسية.

[3] جان وليام لابيار، السلطة السياسية، م.س. ص 51.

– **الأول**: هو ضرورة تحقق الانسجام بين البنيتين الفوقية والتحتية للمجتمع، ويمكن قياس ذلك من خلال دراسة مستوى انعكاس الثانية في الأولى؛ بمعنى التحقق مما إذا كانت البنية الفوقية ناتجة عن التفاعلات التي تشهدها البنية التحتية أم لا.[1]

– **والثاني**: قياس مستويات تطور العقلية السياسية للمجتمع ومدى انسجامها مع الانسياب الزمني للدولة، وذلك من خلال استقراء دلالة نماذج من وقائع الاجتماع السياسي[2].

وفي دراستنا هذه، كانت النخبة المشار إليها آنفا لصالح الانتظام داخل الدولة. بينما كانت مجموعة من ذوي النفوذ ومن يتبعهم، ترى في الدولة خطرا يهددها، بل وسيلة لتجريدها من سلطتها المادية والمعنوية التي تمثل مصدر نفوذها داخل المجتمع. وكما هو واضح، فإن استحضار هذا التاريخ يشير إلى التناقض العميق الذي واكب قيام الدولة "مجتمع واحد و بنيتان". وإن كان هذا الصراع حسم لصالح النخبة.

والآن وبعد بضع وخمسين عاما من العيش في ظل الدولة، يمكننا أن نلاحظ وجها جديدا لهذا الصراع. فعوضا عن التجاذب حول فكرة الدولة التي أصبحت واقعا، أخذ الصراع نمطا آخر. فالصراع اليوم هو صراع مواقع بين نخبة جديدة تحاول إحتلال موطئ داخل مجسم السلطة لتجسد من خلاله رؤيتها بشأن بناء الدولة الحديثة وفق مقاربة جديدة، تتأسس على أولوية الإصلاح، وتكريس العدالة الاجتماعية في إدارة الشأن العام وإعادة توزيع الثروة الوطنية. وآخرين يريدون الحفاظ على مكتسبات راكموها على مدى عقود من غياب الشفافية والموضوعية في التعاطي مع الشأن العام؛ وهو ما يكشف عن نوع جديد من التناقض "مجتمع واحد ومنهجان [3].

إذًا لدينا مجتمع واحد وبنيتان، ومجتمع واحد ومنهجان، والمحصلة مجتمع برؤيتين؛ رؤية مادية واقعية تستمد وجودها من الإرث التاريخي والتحرك ضمن المصالح الخاصة. وأخرى فكرية مثقفة تتأسس على إيديولوجيا الإصلاح. وهو ما يشير في ظاهره إلى نوع من الحركية التاريخية، ولكن هل تستجيب خصائص الاجتماع الجزائري عموما والواحي خصوصا لهذا الحراك؟

إن بنية التفاعلات داخل المجتمع الورقلي، وإن كانت قاصرة عن فهم وتقييم القواعد والمؤسسات التي من المفترض أن يؤسس لها قيام الدولة المستقلة، إلا أنها انتفضت في 27 فبراير من سنة 1962م ضد الاستعمار. كان ذلك تمثلا أمينا، وانعكاسا صحيحا للبنية التحتية الورقلية، وتجسيدا للتدافع داخلها.

ثم عانت البنية الاجتماعية الورقلية جمودا كبيرا على مستوى التفاعل والتدافع، على غرار مثيلاتها في باقي أجزاء الدولة، سببه الرؤية الأحادية التي تحكمت في التعاطي مع الشأن العام، والتي حولت الدولة إلى كيان متجسد في نظام مسيطر، تضاءلت أمامه كافة الشرعيات، وأصبحت برضاها أو بدونه، تستمد مقومات استمرارها واستقرارها من الخضوع لمعاييره وقيمه التي لم تشارك في وضعها أصلا، أو تجاوزت في بعض مقتضياتها نضج العقلية السياسية للمجتمع. لذا لم تبْنِ البنية الاجتماعية الورقلية ثقافة سياسية بالمعنى الحديث؛ ولم تستطع تشكيل ما يسميه برهان غليون "إجماعا سياسيا يضمن الخلاف ويتجاوزه"[4].

---

[1] التواتي بومهلة، إحتلال الصحراء الجزائرية ،م س، ص89.

[2] برهان غليون، ملاحظات حول الدولة في المجتمعات النامية، آليات السيطرة والعنف، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، عدد 15/14، آب-أيلول 1981، ص40-41.

[3] ميشيل فوكو، يجب الدفاع عن المجتمع، ترجمة الزواوي بغوره، ط 1 (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2003)، ص 179.

[4] محمد عابد الجابري، الديمقراطية وحقوق الإنسان، كتاب في جريدة، العدد 95 (5 تموز 2006)، ص 8.

والنسق الاجتماعي مرتبط في قابليته للتطور والبناء الثقافي الواعي بمرتكزين: التعارض الموضوعي بين بناء "الإلتزام الواعي" والحياة بنمط من الفوضى قليلة التنظيم (نقص الانضباط) [1] ، والارتباط الموضوعي بين بناء النضج السياسي ووجود نوع من الانتخاب الدائم والمستمر للطرق التي يتم بها تسيير التناقضات البينية الداخلية (تكريس ثقافة المشاركة)[2] ،ولا يخفى ما لهذين المرتكزين من أهمية في بناء وتطوير الذهنية السياسية؛ فقلة التنظيم نقيض الوعي. وانعدام المشاركة نقيض النضج السياسي[3].

ليكون السؤال: أيهما أكثر حضورا في البنية الاجتماعية الورقلية؟ الانضباط والمشاركة؟ أم الفوضى والأحادية السياسية؟

تكشف لنا القراءة التركيبية لعناصر الإنسان والثقافة والمحيط في قصر ورقلة، تميز الورقلي بخاصيتين اكتسبهما بتأثير من بيئته الصحراوية المفتوحة، وثقافته الشفهية ،التعلق الشديد بإمكانية الفعل والحركة دون حدود أو قيود، والنزوع إلى عدم الرضوخ لسلطة الضبط إلا عند الإحساس بالتهديد الخطير لوجوده. ونفور الإنسان الورقلي من الآليات الاستعمارية الضابطة، إضافة إلى الخصائص التي اكتسبها المجتمع من بيئته الصحراوية، كانا وراء تنامي عزلة مجتمعية إرادية في مواجهة مدنية المستعمر، جسدتها واقعيا نزعة استقلالية جامحة لدى المجتمع الورقلي، تمثلت أبرز تجلياتها في ابتعاد الورقليين تاريخيا عن المراكز الحضرية، وخضوع اجتماعهم لنمط مبالغ فيه من التحضر الفوضوي [4] ،لا تفسره إلا الخشية من الخضوع لأي ضوابط إلا تلك التي تقتضيها ثقافتهم الدينية التقليدية. وهذا يمنحنا إمكانية التقرير بأننا أمام بنية اجتماعية أدمنت عبر تاريخها الطويل العيش ضمن نمط من قلة التنظيم جعلها تميل في تفاعلاتها إلى عدم التقييد والانضباط.

ولا تقف الصورة عند هذا الحد، بل تتجاوزه إلى ما بعد رحيل فرنسا وقيام الدولة الوطنية. حيث لم يتغير نمط العيش كثيرا. فقد بقيت غالبية المجتمع على نفس الحال. غارقة في بعدها الإرادي عن المراكز الحضرية، في نفور واضح من آلياتها التنظيمية. ولم يرغمها على التخلي عن نزعة النفور تلك إلا البيئة[5] .

فتماما كما كانت سببا في تعلقه بالفعل دون حدود أو قيود، كانت البيئة كذلك سببا في رضوخ الورقلي لمقتضيات الانضباط الحضري قسرا حين أرغمته موجة الجفاف الشديدة على الانضمام إلى مراكز الضبط الحضرية داخل وخارج البلاد، بعد أن استشعر خطرا شديدا يتهدد وجوده. وأعاد المجتمع إنتاج استقلاليته من القيود داخل أحزمة عشوائية محيطة بالمراكز الحضرية الكبرى لا تخضع في بنائها ولا في تخطيطها لأي ضوابط إلا تلك التي تواضع عليها السكان.

6.6. النمط الديني: يعتبر العرف من الأمور الأساسية التي ينبني عليها التنظيم القبلي في قصر ورقلة على وجه الخصوص، كل شيء مرتبط بالعرف، العلاقات الاجتماعية، تنظيم الماء، الأعراس، تنظيم العمل، إلى غير ذلك من الأمور الاجتماعية التي يلعب فيها العرف دورا أساسيا، لكن التحولات التي عرفها العالم الواحي ودخول المكننة، وظهور العمل المأجور وغيرها من التحولات الاجتماعية التي عرفتها القبائل، غيرت من نمط العيش وأثرت بشكل كبير على البنيات التقليدية التي ينبني عليها العرف[6].

---

[1] حسين علوان، إشكالية بناء الثقافة السياسية في الوطن العربي، (بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2009، ص12.

[2] Lethieulleux Jean, Op.cit.,p83.

[3] التواتي بومهلة ،إحتلال الصحراء الجزائرية ،م.س.، ص90.

[4] خليفة عبد القادر، التحولات في مدن الصحراء الجزائرية- قصور الأمس مدن اليوم- الأرشيف المفتوح، أكتوبر 2008، ص7.

[5] أعزام بابا حمو ابراهيم بن صالح، غصن البان في تاريخ ورجلان، تحقيق: سليمان أبو معقل وبحاز ابراهيم، مطبعة العالمية، غرداية، 2013، ص105

[6] حاجي عبد الرحمن، ورقلة تاريخ وحضارة، دار هومة، الجزائر، 2010-2012، ص46.

تراجع بعض القيم وبروز قيم أخرى جديدة من السمات الأساسية التي تميز التحول الذي عرفته المنطقة المدروسة، فعندما استفسرنا الكثير من المبحوثين عن " التويزة " كنمط من العمل الجماعي الذي يعزز قيم التضامن والعمل الجماعي، كان جلهم " يتحسر" عن هذه الفترة التي كان فيها العمل الجماعي سائدا. ثم إن دخول التقنيات الجديدة واستعمال الأسمدة التي تزيد من تكاليف العمل الفلاحي كلها عوامل أدت إلى إحداث تغيرات جذرية في العديد من الأمور بما فيها العمل التضامني.

وليس العرف وحده الذي كان يسيّر العلاقات داخل القصر وخارجه، كما أنه ليس الوحيد الذي عانى من التحولات الاجتماعية في القصر. فالعرف إنما يستمد شرعيته من الدّين الذي جعل من العرف مصدرا للتشريع ما لم يخالف الدِّين. ولئن كان القصر محكوما بأعراف وعادات وتقاليد، فإنه أيضا كان محكوما بنظام ديني. ولم يبق من نظام العزابة[1] ،مثلا الذي كان يتولى شيخه، من بين الإباضيين، في قصر ورقلة، الشؤون الدينية والاجتماعية والسياسية، لم يبق منه إلا الناحية التعليمية فقط. كما أن منصب القضاء الذي كان أعلى سُلّم في الإدارة الدينية في القصر، ويأتي في المرتبة الثانية بعد المشائخ ومجلس الأعيان،[2] ،وظل متوارثا حاله كحال عون القاضي، لم يعد كذلك، بل حلّت محلّه السلطات القضائية للدولة. وتحوّل السجن تبعا لذلك من الحفرة الموجودة في قصر المشيخة.

ولم تعد الأوقاف التي كان ريعها مصدر رزق العلماء كسابق عهدها، كما لم تعد الزغاريد الثلاث الخاصة بالمولود الذكر عند ولادته متبعة، ولم تعد ساحة القصر في ليالي شهر المولد تكتظ بالأعلام ومُريدي الزوايا والإنشاد وضرب الدفوف والمدائح والمباخر والبارود إلا قليلا .

لقد تراجع أيضا دور الزاوية القادرية التي كانت في حي بني ابراهيم وحي بني سسين في القصر، وكذلك فرع الزاوية الرحمانية، وكان نظام التعليم الشرعي الذي يرأسه إمام القصر– وهو عادة ما يكون من بني سسين عائلة أولاد باعمر وخليفته من بني واقين– يزاوج بين المساجد والكتاتيب والمحاضر والزوايا، ويمدّ القصر بالمثقفين في علوم الشرع واللغة العربية القادرين على تبوّء مراكز القضاء والإفتاء والإمامة والتعليم ،ولقد حافظ هذا النظام التعليمي على تماسكه في ظل الاستعمار [3].

7. خاتمة:

رأينا كيف كان التأثر والتأثير اجتماعيا، يُلمس أكثر ما يُلمس، في إطار ضيق، لا يكاد يتجاوز أسوار القصر، إلا إلى المجموعات الحليفة التي تدور في فلك القصر، بل إن هنالك انتقائية داخل القصر، تفرضها المذهبية، قد تتجاوز أسوار القصر إلى أسوار أخرى في بلاد الشبكة.

ورغم أن القصر تأثر أيضا، في المجال الاجتماعي، بمجتمعات صحرائه وبالقوافل وما تجلبه، وبجارته عاصمة وادي ريغ وكذا قصر أنقوسة؛ فإنه كان يتقوقع اجتماعيا من حيث بنيته. بحيث لم يحدث انفتاح كبير إلا نتيجة للتوسع الحضري الهائل الذي شهده القصر، وخاصة بعد الاستفلال، وقبل ذلك اكتشاف النفط والغاز، وبعد ذلك الجفاف الذي ضرب المنطقة؛ مما فرض تقطيعا إداريا تحول القصر بموجبه من عاصمة ولاية الواحات المترامية الأطراف إلى عاصمة ولاية تحمل اسمه.

---

[1] الأزهار عباز، م.س.، ص85–86.

[2] الأزهاري عباز، م س.، ص92.

[3] أعزام، م.س. ص272

ومع أن الأحلاف والقبائل والعروش وكذا المذهبية، كان لها دورها الاجتماعي الكبير في القصر، ما قبل الاستفلال، إلا أن العائلة ظلت تمثل نواة البنية الاجتماعية في قصر ورقلة. وكان للمرأة مكانتها التي تشي بها تسميات لمعالم دينية كبيرة في المدينة. كما ظلت ترسبات بعض عقائد وادي نهر النيل وبلاد الشام حاضرة في رموز تُنقش هنا وهناك، في إطار تعاويذ أو زخرفات وتقنيات عمرانية محلية.

أما النظام الاقتصادي المهيمن، فقد تحول من القوافل، ما قبل الاستفلال، إلى نظام اقتصادي في ظل الدولة الحديثة، وإن كانت ما تزال ثمة مظاهر من تجارة المقايضة التي كانت تمثل وسيلة القوافل الأساسية في التبادل التجاري. وغني عن القول إن السلع تغيرت، وكذا نظام الصرف، ونحوها. ولقد تدرجت الأنماط الثقافية للقصر في التحوّل، شأنها في ذلك شأن النظم الاقتصادية.

ولعل من أبرز مظاهر التحول إن لم يكن أبرزها، التي شهدها القصر، هي تغيّر النظام السياسي، في القصر، الذي كانت تحكمه تفاهمات محلية معقّدة بين أبرز ساكنيه: بني ابراهيم، بني سسّين، بني واقين؛ أفرزت حكما صُوريا لعائلات مستجلبة من خارج القصر. وغني عن القول أيضا، أنه بدخول المستعمر سنة 1854، إلى قصر ورقلة، كان لذلك تأثير بالغ على تحوّل النظام السياسي من جماعة الحل والعقد إلى ممثّل القادم الجديد، وإن كانت الأحوال المدنية، ظلّت من صلاحيات قاضي الجماعة.

ويمكننا إجمالا رصد التغيّرات الكبيرة التالية على صعيد البنية الاجتماعية لقصر ورقلة في الفترة المدروسة:

الهجرة: التي غيّرت النسيج الاجتماعي في القصر وفي محيطه. رغم أن العائلة ظلت النواة الاجتماعية في القصر، في ما لم يعد للعروش ذلك التأثير الذي طالما كان لها. مع أن الطبيعة الذكورية للمجتمع الواحي ظلت تراوح مكانها.

البيئة: أثّر استقدام الرأسمال المادي، خاصة بعد الاستفلال، بشكل كبير في تغيير في الرأسمال الرمزي للواحة. لكن بالمقابل، وعلى الرغم من كل هذه التغيرات التي عرفها المجال الواحي، ما زال العديد منهم يحافظون على الوسائل التقليدية في البناء، كشكل من أشكال المقاومة للتأثير الذي أحدثه نمط المدينة على المجال الواحي للقصر. هذا دون الحديث عن النقص الملحوظ في واحات النخيل التي التهمت الأحياء الجديدة العديد منها، وأدى التوسع العمراني إلى مضايقتها، مما انعكس على البيئة انعكاسا ملحوظا.

الثقافة: التحولات التي مست البنيات الاجتماعية لقصر ورقلة شملت أيضا الحقل اللغوي، باعتباره حقلا منسجما مع باقي الحقول الاجتماعية الأخرى. إلا أن اللغة الأمازيغية تقارقرنت ما زالت تشكل مجالا للتعبير الهوياتي للعديد من المجموعات والفرق المكونة لقصر ورقلة، التي لا تزال أيضا تحيي مواسم ثقافية تقليدية تؤكد على التشبث بالهوية.

الاقتصاد: انتقلت العلاقات الاجتماعية في الواحة، من علاقات القرابة والعائلة والأخوية والتضامن بين أفراد القصر إلى علاقات رأسمالية يغلب عليها الجانب المادي والربحي. واختل التوازن الاجتماعي بين المجموعات المكونة لقصر ورقلة، إلا أن العرف السائد هو أن الأرض هوية العروش وبالأحرى هوية الفرد داخل القبيلة.

السياسة: عانت البنية الاجتماعية الورقلية جمودا كبيرا على مستوى التفاعل والتدافع، على غرار مثيلاتها في باقي أجزاء الدولة، سببه الرؤية الأحادية التي تحكمت في التعاطي مع الشأن العام. بعد أن عرفت صراع النخبة وذوي النفوذ الذي واكب الاستفلال وحُسم لصالح النخبة والدولة الوطنية، تجدّد هذا الصراع اليوم بين نخبة جديدة تحاول احتلال موطئ داخل مجسم السلطة لتجسد من خلاله رؤيتها بشأن بناء الدولة الحديثة وفق مقاربة جديدة، تتأسس على أولوية الإصلاح، وتكريس العدالة الاجتماعية في إدارة الشأن العام وإعادة توزيع الثروة الوطنية، وآخرين يريدون الحفاظ على مكتسبات راكموها على مدى عقود من غياب الشفافية والموضوعية

في التعاطي مع الشأن العام. أما بدو ورقلة فبإمكاننا القول إنهم ذوو بنية اجتماعية أدمنت عبر تاريخها الطويل العيش ضمن نمط من قلة التنظيم جعلها تميل في تفاعلاتها إلى عدم التقييد والإنضباط، حتى في تحضّرها وعمرانها وتعاطيها مع الشأن العام.

الدِّين والعُرف: تراجع العرف الذي كان من الأمور الأساسية التي ينبني عليها التنظيم القبلي في قصر ورقلة. كما تراجعت الأنظمة الدينية كنظام العزابة مثلا، الذي لم يبق منه إلا الناحية التعليمية فقط. ولم يعد منصب القضاء الذي كان أعلى سُلّم في الإدارة الدينية في القصر موجودا، وتراجع كذلك دور الزوايا.

8. قائمة المراجع:

الكتب :

1. إبن حوقل، صورة الأرض، بيروت، (د.ت)
2. ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1978، المجلد السابع، ص.98-99.
3. أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع، الجزء الثاني، الأنساق، القاهرة، دار الكاتب العربي، 1967
4. أحمد عبد الخالق: الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط4، 1987
5. الإدريسي الشريف، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، روما- نابولي، 1971
6. أعزام بابا حمو ابراهيم بن صالح، غصن البان في تاريخ ورجلان، تحقيق: سليمان أبو معقل وبحاز ابراهيم، مطبعة العالمية، غرداية، 2013
7. برهان غليون، مجتمع النخبة، ط 1، بيروت: معهد الإنماء العربي، 1986
8. التواتي بومهلة: احتلال الصحراء الجزائرية، ، دار المعرفة، الجزائر، 2012م
9. التواتي بومهلة، ورقلة بوابة بلاد السودان، دار المعرفة، الجزائر، 2011
10. جان وليام لابيار، السلطة السياسية، ترجمة الياس حنا الياس، ط 2 (بيروت: منشورات اعويدات، 1977)
11. جعيط هشام، الكوفة: نشأة المدينة العربية، بيروت، 1993
12. حاجي عبد الرحمن، ورقلة تاريخ وحضارة، دار هومة، الجزائر، 2010-2012
13. حسن محمد، الجغرافيا التاريخية لإفريقية، بنغازي، 2004
14. حسن محمد، المدينة والبادية في العهد الحفصي، تونس، 1996
15. حسين علوان، إشكالية بناء الثقافة السياسية في الوطن العربي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2009
16. حسين فهيم، قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان، سلسلة عالم المعرفة، 98، فبراير 1986، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت
17. د. توفيق الحسيني عبده: مفاهيم ومصطلحات وفروع الانثروبولوجيا العامة، الموسوعة الافريقية، المجلد الرابع: الأنثروبولوجيا، مايو 1997، معهد الدراسات الافريقية، جامعة القاهرة
18. الدولاتلي، مدينة تونس في العهد الحفصي، تونس، 1981
19. محمد شعشوع بن ساسي، الدليل الأساسي في توضيح نسب بن ساسي، دار هومة، الجزائر، 2010
20. محمد عبده محجوب: الانثروبولوجيا السياسية- الهيئة العامة للكتاب، الاسكندرية، مصر، 1981
21. ميشيل فوكو، ترجمة الزواوي بغوره، يجب الدفاع عن المجتمع، ط 1 ،دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 2003.

الأطروحات والرسائل الجامعية :

22. الازهاري عباز، نظام المشائخ في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال 1603-1884م، رسالة ماجستير، جامعة الوادي، 2013-2014م

23. أولاد سالم نسيمة، واقع النمو السكاني والتنمية المحلية خلال العقد الأخير لولاية ورقلة، 2000-2009، رسالة ماستر جامعة قاصدي مرباح، 2012-2013

24. بثينة غيلاني، الهوية الاجتماعية للجماعات الاجتماعية في مدينة ورقلة، دراسة ميدانية بقصر ورقلة أنموذجا، رسالة تخرج، جامعة قاصدي مرباح ورقلة

25. بوعافية نعيمة، التركيب السكاني لولاية ورقلة، دراسة تحليلية لنتائج تعداد 2008، رسالة ماستر، جامعة قاصدي مرباح، 2013.

26. خليفة عبد القادر، مقاربة أنثروبولوجية للهياكل الاجتماعية والأسرية وتحولات المجال في واحة من الجنوب الشرقي الجزائري، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2002-2003

27. خمقاني عبد المجيد، الخلفية السوسيو ثقافية لطالبي الشغل وانعكاساتها على استجابتهم لسياسات التشغيل، مذكرة ماجستير، جامعة غرداية، 2013-2014

28. مفلاح ثوريا، الخلفية السوسيو ثقافية للبدو المتمدنين وانعكاساتها على الممارسات الحضرية، رسالة ماستر، جامعة قاصدي مرباح، 2014-2015

المجلات والمنشورات :

29. أحمد إبريهي علي، حول مفهوم البنية الاجتماعية، الحوار المتمدن-العدد: 4983 - 2015 / 11 / 12 –

30. برهان غليون، ملاحظات حول الدولة في المجتمعات النامية، آليات السيطرة والعنف، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، عدد 15/14، آب-أيلول 1981

31. بلال بوجراف، عمرانية قصر ورقلة العتيق: الماضي والراهن، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 33 مارس 2018

32. خليفة عبد القادر، التحولات في مدن الصحراء الجزائرية- قصور الأمس مدن اليوم- الأرشيف المفتوح، أكتوبر 2008.

33. خليفة عبد القادر، حضرية مدن الصحراء الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 8، جامعة ورقلة، 2012.

34. محمد عابد الجابري، الديمقراطية وحقوق الإنسان، كتاب في جريدة، العدد 95 (5 تموز 2006)

راجع باللغة الأجنبية :

1. "WILAYA D'OUARGLA : RÉPARTITION DE LA POPULATION RÉSIDENTE DES MÉNAGES ORDINAIRES ET COLLECTIFS, SELON LA COMMUNE DE RÉSIDENCE ET LA DISPERSION" (PDF).. DONNÉES DU RECENSEMENT GÉNÉRAL DE LA POPULATION ET DE L'HABITAT DE 2008 SUR LE SITE DE L'OFFICE NATIONAL DES STATISTIQUES

2. CHEVALIER, RESSOURCES VÉGÉTALES DU SAHARA ET DES CONFINS NORD ET SUD, REV. INTERN. DE BOTANIQUE ET AGRICULTURE TROPICALE,T.12,N.132-134,SEPT. OCT. 1932

3. BEALS, E.G : AN INTRODUCTION TO ANTHROPOLOGY, N.Y.1965

4. BRADFORD LEWIS, ON THE STEPS OF UGARITICS PHAISTOS, 2012

5. CAUVET CDT. NOTES SUR LE SOUF ET LES SOUAFA,B.S.G. ALGER 1934

6. CLAUDE, DUBAR, LA CRISE DES IDENTITÉS, 2010, PUF

7. GIACOBETTI P., LES PALMIERS DE OUARGLA, NOTES MANUSCRITES, 1900

8. J. DELHEURE, VIVRE ET MOURIR À OUARGLA, SOCIÉTÉ D'ETUDES LINGUISTIQUES ET ANTHROPOLOGIQUES DE FRANCE, PARIS, 1988

9. LARGEAU V.,LE PAYS DE RIRHA, OUARGLA, VOYAGE À RHADAMÈS, PARIS, HACHETTE,1879

10. LE CHATELIER A., LA REVIFICATION DE L'OUED MYA, MANUSCRIT DE 315 P., 15 SEPT. 1883

11. LETHIEULLEUX JEAN, OUARGLA CITÉ SAHARIENNE, DES ORIGINES AU DÉBUT DU 20EME SIÈCLE, LIBRAIRIE ORIENTALISTE PAUL GEUTHNER, PARIS, 1983

12. MADELEINE ROUVILLOIS-BRIGOL, LE PAYS DE OUARGLA(SAHARA ALGÉRIEN), COPÉDITH,PARIS,1975

13. MANEL BOUCHEMAL & SALAH CHAOUCHE, LA PATRIMONIALISATION D'UN SITE SUFFIT-ELLE À SAUVEGARDER UN LIEU HISTORIQUE ? CAS DU KSAR DE OUARGLA, IN LES MUTATIONS DE LA VILLE SAHARIENNE-APPROCHES CROISÉES SUR LE CHANGEMENT SOCIAL ET LES PRATIQUES URBAINES, MARS 2015, OUARGLA, ALGÉRIE

14. MONOD (THÉODORE), *MÉHARÉES*, PARIS, (NOUVELLE ÉDITION)1989.

15. ORGANISATION MÉTÉOROLOGIQUE MONDIALE (TEMPÉRATURES MOYENNES) (PRÉCIPITATIONS, 1976-2005) SERVICE MONDIAL D'INFORMATION MÉTÉOROLOGIQUE – OUARGLA

16. OULD CHEIKH (ABDEL WEDOUD), *NOMADISME, ISLAM ET POUVOIRS DANS LA SOCIETE ARABE PRECOLONIALE*, (THESE DE DOCTORAT EN SOCIOLOGIE), LA SORBONNE, PARIS, 1984

17. PRICHARD EVANS, SOCIAL ANTHROPOLOGY AND OTHER ESSAYS, NEW YORK: THE FREE PRESS, BBC THIRD PROGRAMME LECTURES, 1950-1962

18. TAINE-CHEIKH (CATHERINE), « TOPONYMIE ET URBANISATION », *ESPACES ET SOCIETES AU SAHARA, CAHIERS DE L'URBAMA*, N°33,1988.

19. TOPET (CHARLES), « L'EVOLUTION DU NOMADISME AU SAHARA CENTRAL », *NOMADES ET NOMADISME AU SAHARA*, PARIS, 1963

20. VALENSI LUCETTE, LE MAGHREB AVANT LA PRISE D'ALGER, PARIS, ÉDITIONS FLAMMARION, 1969

مواقع الأنترنيت :

1. HTTP://WWW.DTAOUARGLA.COM/AR/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3%D9%8A%D8%A9/